قصة قصيرة

صوت ضائع

أحمد عادل

رفع راسه الى البناية الضخمة مشفقا ، ثم أخفضه في وجل . وما لبث أن تقدم بعد احجام ، مدفوعا بقضية عمره ، فصعد الدرج الرخامي في تثاقل ، ونفذ من باب ضخم لو التصق بزجاجه الشفاف لبدا حشرة تلطخه .. وخطا في تهيب الحشرة التي تدبّ على صفحة غريبة ، الى قاعة فسيحة قد سدت جانبا منها طاولة عريضة ، جلس اليها رجل أسمر بلا حراك .

ــ من فضلك .. اريد مقابلة رئيس التحرير .

تنحنح وجفّ ريقه لهول وتراخي الاستجابة . ثم خشخشت ورقة دفعها الآخر اليه بلا اكتراث او كلام ، فانحنى عليها . بيانات كثيرة كأوراق الاستمارات عليه أن يملأها . اخرج قلمه وعالج به الكتابة متوترا ، فعاكسه السن في البداية وتأبى عليه .

الاسم . المهنة . السن . الغرض من المقابلة ... سالم زكي عبد الرحمن . موظف بشؤون العاملين في وزارة العدل . ٥٥ عاما . أمر شخصي .

ما دخل السن ؟ وهل يصرفه الرجل لان الامر شخصي وهذه صحيفة كل الناس ؟

قدم الورقة في تحفظ وعناية . فبسطها الرجل الاسمر ونظر فيها بجمود . وقال دون أن يرفع بصره :

ــ اثبات الشخصية ..

فأخرج بطاقته من حافظته بأصابع مرتعدة ، وهي ايضا تعاكسه وتتأبى عليه ، فدفعها اليه وسقطت بعض أوراقه ، فانحنى في جهد . حتى اذا انتصب قال متبسطا ، وهو يلهث :

ــ الموضوع مهم . مهم جدا .. وهذه اجراءات مثل صرف الشيكات .

لم يعره الرجل التفاتا . واستقبلت القاعة الرخامية كلماته بصمت وبرود .

وأشار الرجل باصبعه الى أعلى . ورمى اليه البطاقة ، فتساءل في حذر :

ــ اي دور ؟

ــ الثاني .. بالسلم .

فتجاوز المصعد الذي كان قد وقف في انتظاره ثلاثة رجال وفتاة . كانت هي الوحيدة التي حملقت فيه وتابعته ، وهو يصعد الدرج في جهد ، وطرف سترته يكاد يلامس كاهله !

ودخل مكتب رئيس التحرير بعد معاناة . فألفى فتاة انيقة رفعت اليه من خلف نظارتها بصرا صارما متسائلا دون كلام .

ــ من فضلك . أريد مقابلة رئيس التحرير .

خيل اليه انه يقولها للمرة العاشرة . فشملته بنظرة تساؤل اكثر . ثم دفعت اليه ورقة ، لمح فيها البيانات الناقصة . فخانته اعصابه :

ــ قد ملأت ورقة مماثلة .

ــ وتملأ عشرين ورقة . هكذا النظام !

وكان هناك أناس جلوسا في ادب . فغشيه العرق رغم التكييف . وانحنى على الورقة فزاد عرقا وخجلا لما رآها مختلفة . ليس فيها سوى الاسم والغرض من المقابلة .

اشارت اليه فجلس في طرف الصف . ومرّ الوقت متثاقلا ، لا يقطعه الا رنين التليفون . وصوت السكرتيرة وهي ترد بايجاز وأدب ، وأحيانا بخشونة وافحام .

وانطلق أزيز خفيف انخلع له قلبه . وتحركت السكرتيرة في خفة عبر باب هزاز ، تعلق به بصره مبهورا . ثم عادت وأشارت الى أول الجالسين . فنهض ودخل . واهتز الباب . واهتز قلبه وبصره . وازداد انبهارا .

ومرت ساعة وساعتان . وجاء ضيوف آخرون ودخلوا قبله ، وهو ماكث . كلما سبقه احد واهتز الباب ازداد التصاقا بمقعده وغوصا فيه .

ولما خلت القاعة الا منه ومن السكرتيرة ، وهي متشاغلة عنه بأوراقها ، تشجع ونهض متنحنحا :

ــ الا يزال البيك مشغولا ؟

وكرر السؤال . فقد خرج صوته ضعيفا فاترا . فردت بغير اكتراث :

ــ نعم .

اينتظر ساعات ليسمع هذه الكلمة . ليفطر على بصلة ؟

ــ ومتى يفرغ يا فندم ؟

ـ قد يظل مشغولا طول النهار .
فانبعث جانب من نفسه مجاهدا :
ـ لكنني اريد محادثته في امر هام .
هدات الاوراق بعد حركة . وارتفعت اليه النظرات الصارمة . وقالت بلهجة اشد صرامة :
ـ امر شخصي ؟
فلم يفهم عبارتها ، وآثر ان يوضح :
ـ اجل .. امر خاص بخبر في الجريدة .
ـ آه . ليس شخصيا اذن ؟
تضخم جانب التحدي في نفسه ، فهتف :
ـ بل شخصي جدا ..
قالت بقسوة وحسم :
ـ تعني انه متعلق بشخص ما . فمن هو هـذا الشخص ؟ حضرتك ؟!
تردد قليلا ليتبين مقدار السخرية في لهجتها . ثم قذف في وجهها باللهب :
ـ انه سيادة الوزير .. حسن محمود .
تراجعت من حرارة النـار . وحل دورها فـي الانبهار . وفي الداخل سينبهر رئيس التحرير بدوره .
ـ وما علاقتك بسيادة الوزير ؟
لا بد ان يكون صارما كسيف ماض في معركة العمر . هتف حاسما :
ـ وما شانك انت ؟ هناك مؤامرة عليـه لا بد من كشفهـا .
نهضت في عجلة ، بشحنة مضاعفة مـن ذنب تأخيره . فقال آمرا لاول مرة :
ـ بسرعة من فضلك .

وعندما انطلقت الى الداخل ، وجد ان الباب الهزاز لم يعد يثير في نفسه هزة او انبهـارا . حتى عندمـا دخل شعر بهدوء وفتور كأن الحجرة كانت مهيأة تماما لاستقباله . وكأنها ما وجدت طوال هـذه السنين الا لتكون هذه اللحظة في انتظاره . وها هو رئيس التحرير ينهض بجرمه الضخم ، من خلف مكتبه الضخم ، ويمد اليه يدا غليظة ثم يشير اليه بالجلوس .
ـ حضرتك تعرف سيادة الوزير ؟
فدهش اذ لم يكن قد جلس بعد . وقال في ثقة :
ـ وهل هناك من لا يعرفه ؟
ـ اقصد .. مدى صلتك به ؟
قال بنفس الثقة :
ـ كان وزيري .
ـ حضرتك .. كنت سكرتيره ؟ كاتم اسراره ؟
فارتفع حاجباه دهشا :
ـ انا موظف في المستخدمين يا بك .
فاسترخى رئيس التحرير ، ودار بمقعده نصف دورة وهتف :
ـ آه .. هل عثرت في الملفات على شيء يخصه ؟

فانحنى على المكتب ، كأنمـا يحرص علـى ذات المسافة بينهما .
ـ ليس من ذلك شيء على الاطلاق . اولا ، لان ملفه ليس في حوزتي . وثانيا ...
فدهمه رئيس التحرير ، بانحناءة مماثلة ، تراجع لهـا :
ـ وثانيا .. هل عندك شيء ؟
فبهت . ثم اندفع في محاولته لان يبهر ولا ينبهر .
ـ السكرتيرة ؟ الم تبلغ حضرتك بالمؤامرة ؟
اتسعت العينان الضيقتان وبرقتا . هكذا الانبهار والا فلا !
ـ مؤامرة ؟
ـ اجل .. جئت خصيصا في عجـلة لابلاغكم . ولكنكم تعطلونني باجراءات سخيفة . هل هذا معقول ؟
مد له رئيس التحرير علبة سجائر من الابنوس . يا لضخامة يده المشعرة . واعتذر له بالانشغال . فصرف يده الممتدة باشارة متعاظمة وقال ، والساق على الساق :
ـ لا داعـي للمجاملات . كفانـا وقتـا ضائعا . سيادتك نشرت بالامس خبرا عن الوزير وصورة له . لا يهمني الخبر . ولكن الصورة تهمني !
تجلى الاهتمام تماما في وجـه رئيس التحرير . واشعل سيجارا . لماذا لم يقدم له منه ؟
ـ وفيم تهمك الصورة ؟
ـ فيها شخص لو عرفته لقفزت من مكانك قفزا . فهو لص ونصاب ، وربما قاتل ايضا !
ارتفع الحاجبان الكثيفان في انبهار مضاعف :
ـ احقا ؟
ـ اجل .. وهذا ما جئت لاجله .
تفرسه رئيس التحرير بنظرة ثاقبة حريصـة . هل يظنه مدعيا او مجنونا ؟ ثم نهض بجرمه الضخم ، والتقط صحيفة من مائدة مجاورة ، وبسطها . واشار بالسيجار .
ـ هذه هي الصورة ..
فقام سالم من كرسيه قليلا ، وعاود الانحنـاء مدققا ، ثم وضع اصبعه :
ـ وهذا هو المجرم .
فأمعن رئيس التحرير النظر ، وقال بدهاء :
ـ هذا شخص مجهول بالفعل . ترى ماذا يفعل مع الوزير ؟
فهتف سالم ، كأنما حكه عود ثقاب فانفجر :
ـ يحتال عليه ويمتص ماله بدعوى حمايته مـن الاشرار . وهو اشر الاشرار .
فقال رئيس التحرير بذات الدهاء :
ـ هو حارسه اذن .. وهذا ما ظننت .
فعاد سالم يهتف من قلب مكلوم :

ـ حارسه ؟ قل انه سارقه .. خادعه .. بل اني أخشى أن يصبح قاتله !

فأطلق رئيس التحرير ضحكة غليظة تتنافر تماما مع هذا الاتهام المفاجيء ، والكشف الخطير ، وقال لمحدثه الذي كان قد فغر فاه مذهولا :

ـ لا أظن ان ما تقوله صحيح . انه يقف خلفه في الصورة . ومعنى ذلك انه حارسه الخاص . لقد اعتدنا نحن الصحفيين هذه الامور . اتحب أن أكشف لك عن شخصيته . أستطيع أن أستدعي المحرر المختص ليخبرنا باسمه .

قال سالم من فوره ، وقد حطّ عليه هدوء مفاجيء ، كأن الامر لم يعد يعنيه :

ـ لا عليك . اسمه أحمد عطا ، وعندي سجل كامل بأعماله الجليلة .

فتبسم رئيس التحرير فقط دون أن يضحك . ولعله في المرة التالية يتجهم تماما في وجهه ، ثم يطرده .

ـ عظيم . اتفقنا . هات مستندات الاثبات ، ونحن ننشرها .

ثم نهض ، ووضع يده على كتفه متبسطا . ولكنه ساقه بذلك سوقا الى الباب ، وقال في طلاقة ، ودخان السيجار في أنف سالم وعينيه :

ـ هات المواد . ونحن في الانتظار .

اي مواد ؟ كيف يتحصل على مستندات اثبات وهو وحده الذي يعرف عن ذلك الرجل ما يعرف . لقد عاشره جيدا وساكنه ونام بجواره . وزامله في الدراسة وآكله وراسله ، ويعرف ما حرص على ستره من دقائق حياته . سرقاته التي بدأت صغيرة ثم كبرت . خياناته المتكررة التي انتهت بفضيحة كانت سبب الفراق . هتكه لعرض أخته دون زواج ، واستباحته مال الاقارب والاصدقاء . كيف يتسنى له أن يعثر على دليل واحد دامغ ، وقد كانوا جميعا يتدارون الفضائح كلما تواترت. أيذهب اليه الآن فيأخذ عليه اقرارا بانه نهب ما كان قد ادخره أعواما طويلة ؟ بحجة عمل مشروع تجاري ؟ هل يأخذ عليه اقرارا بأنه فعل بأخته ما فعل ، وهي قد تزوجت وقيّض الله لها ساترا ؟ هل يأخذ عليه اقرارا بأحلامه المجنونة في الشهرة أيام الدراسة ، وبطموحه الى أن يكون شيئا مذكورا ولو بقتل واحد من المشاهير؟ هل يأخذ عليه اقرارا بأن أحد المنجمين الهنود قد قرأ في يده خطوط جريمة مقبلة تهز أرجاء البلاد ؟ لكم ضحكا عندئذ من كلام المنجم ، لكنه بدا جادا تماما . وذهب في جده الى طلب صورة لكفه ، ينشرها في كتاب كان يستعد لاصداره عن أغرب ما صادفه في العالم من خطوط الايدي . كيف يتسنى له أن يأتي بهذه المستندات ليقنع رئيس التحرير ؟ لقد سبق منه القول بأن لديه سجلا حافلا نعم . لكنه كان يظن ان الامر لن يعدو تصديقه بمجرد الرواية . ثم تستدرك الصحيفة الموقف فتتصل بالوزير لتحذيره . فيأخذ حذره ان شاء وينتهي الامر . وينام هو مرتاح الضمير . أما حكاية المستندات فغير معقولة . هل يأخذ عليه اقرارا بفضيحة سرقته لجارة لهم عجوز ، كاد أن يبطش بها في عجلته ؟ ولولا تستر الجيران وتشفعهم له من أجل خاطر أمه الطيبة لكان قد دخل السجن منذ زمن . ويا حبذا لو كان ذلك قد حدث ، لكان قد أصبح من ارباب السوابق وما استطاع ان يتسلق طريقه الى الوزير المخدوع . لا شك انه فعل ذلك بحيل شتى لا يتقنها الا وغد مثله ، ولا بد انه نجى من طريقه ـ كما فعل دائما ـ ضحايا كثيرين ، ولجأ الى جعبة أسلحته التي لا تنفد من النفاق والرشوة والوشاية والكذب والسرقة والعنف والخمرة هذه كلها وسائل كانت تخرجه من مأزقه كالشعرة من العجين ، وبدلا من أن تنحط به الى أسفل سافلين ، كانت تدفع به الى أعلى عليين . فهل ينتظر حتى يرتكب جريمته المسطورة في يده ، لتكون سنده عند رئيس التحرير ؟

جلس في مقهى قريب دون أن يحسّ للشاي طعما وهو يرتشفه . فقد كان مستغرقا تماما في مشكلته . وكان الجو حارا وسترته مع قميصه القابض على عنقه يخنقانه بعرق غزير . القضية أيضا تخنقه . ولا بد أن يدفعها الى غايتها والا هلك تحت ثقلها . أخذ يضرب في الطرقات كأنما حركته كفيلة بتحريك القضية. ماذا لو اتصل بالوزير تليفونيا وحذره ؟ وماذا لو اتصل بصديقه اللدود وأنذره ؟ لا . هذه الطريقة لن تنفع . دونه وأذن الوزير عشرات من الدخلاء على الخط التليفوني ولن يدعوه يصل . وكيف يشرح لهم وهم في عجلة . وأحمد عطا لو سمع صوته منذرا لاحتاط . لا . لا بد أن يقطع على الوزير طريقه ويدهمه بالحقيقة ، فيجرعها مرة كالعلقم ، ويبرأ من ذلك السرطان !

وجد نفسه أمام فيللا الوزير ، المطلة على النيل ، فاقتعد سور النهر ناظرا . لم يدع نافذة أو بابا أو ظلا عابرا الا توقف عنده . وزخر قلبه بأمل عريض . أن يكون داخل الفيللا غدا يحدث الوزير بأمر صاحبه . ولا بأس أن يكون في تلك الحديقة التي يراها أمامه مورقة ، وقد جمعت بينهما جلسة شاي رائقة !

خاله عندئذ والمفاجأة قد أذهلته ، يرتفع حاجباه ويتدلى فكه ويسقط القدح من يده ويستعصي عليه الكلام ـ ذلك الذي اشتهر بأنه محدث بارع وخطيب مفوه ! من المحقق أن يبهره أيضا كما بهر السكرتيرة ورئيس التحرير . ولن يدري اي حظ تأتي به الايام . فقد ينحي صاحبه ويضعه مكانه .. ليس مكانه بالضبط ولكن بمقربة منه على اية حال . ويضع الطهر مكان الدنس . فيخرج من زوايا النسيان ، ليغيب ذلك الفاجر فيها .

أمضى يومه يجترّ عذوبة آماله . وأسرع الى فيللا الوزير بعد ليلة مؤرقة ، يأمل أن تسعفه الظروف بمهمته للدخول . ذلك انه لا يصح الا ان تأتوا البيوت من أبوابها . على انه تراخى بعد عجلة ، اذ وجد الباب الحديدي الضخم للحديقة مغلقا . ومرّ أمامه عدة مرات وهو يمعن النظر الى الداخل عله يرى أحدا . فلم يلمح ظلا . وتعجب أين يكون البواب ، أم لعله نائم حتى هذه الساعة مثل سيده ؟ ورأى كلبين ضخمين يجولان في الحديقة فارتعد . كيف يمكن أن يتجاوزهما الى عتبة الفيللا ؟ على انه ما لبث أن سرى عن نفسه بأنهما سيكونان غدا ولا ريب عند قدميه ، وقد ألفاه اذ ألفه الوزير وحباه بعطفه ورعايته . وكيف لا ، وقد أصبح أو سيصبح مدينا له بحياته . ما لبث أن عاد الى مكانه على سور النيل ، ومكث ينتظر الفرج . وبعد ساعة أو نحوها دبت حركة واستيقظ المسكن الهاجع . فتحت نوافذ وأبواب، ومرق عبر مماشي الحديقة خدم وأتباع. واستعد البواب على الباب ، وأقبلت سيارة فخمة فوقفت قبالته. ونزل سائق اسمر ومكث ينتظر بدوره . وتهادى الوزير بجرمه الضخم وأمامه خادم يفسح له الطريق الخالي وخلفه سكرتير يحمل حقيبته ، والكلبان يتواثبان في أعقابه وذيلاهما يهتزان بمرح . وفتح باب الحديقة وباب السيارة . وارتفعت الأكفّ بالتحية والتعظيم . وانبهر سالم بالمشهد فلم يتحرك فيه سوى عينيه ، وهما تتابعان السيارة وهي تمرق أمامه !

وجاء في اليوم التالي وهو يعتزم الا يبهره شيء . ووجد في نفسه الجرأة لان يلاصق سور الحديقة ، ويطل منه ، دون أن يحفل بلافتة التحذير من الكلاب . وحيّا جنديا في كشك قريب من الباب كان لامر ما غائبا أمس ، أم ترى كان نائما في كشكه ؟ وما لبث أن ابتعد قليلا نحو سور النيل ، ومكث يرقب بعين الصقر بوادر الحركة . فما أن أرهصت بمقدم الوزير حتى عبر الطريق مسرعا وقلبه يثب بين أضلعه . فليرتفع علم الجهاد خفاقا . وخيل اليه انه يشقّ لنفسه نحو الوزير طريقا في زحام ، مع انه لم يكن معه سوى أشخاص الامس . وخطف اليه الوزير نظرة في غير اكتراث ، لكنها كانت فرصة العمر . فانحنى حتى كاد يلامس برأسه ركبته ، وقال في صوت متحشرج :

ـ صباح الخير يا فندم . خادمكم سالم زكي عبد الرحمن .

ولكن الوزير بدلا من ان يقبل عليه بشيء من بشاشة ، ابتعد عنه محاذرا . ورمى اليه بتحية عابرة . ثم انحنى ليدخل سيارته في هدوء ، وسالم مقطوع الانفاس من الانبهار .

وهنا حدث شيء قطع عليه انبهاره بعنف . فكأنما القت به يد غليظة من سماء الى ارض صلبة . فقد لمح السكرتير ، أو من خيل اليه بالامس انه سكرتير ، يبتسم له متعطفا وهو يلتف حول السيارة ليدخلها من الباب الآخر . كان هو بعينه صاحبه وغريمه أحمد عطا. ذلك اللص الداعر المحتال . رآه يهز له رأسه كأنما يحييه . ثم مرق الموكب ، وقد شعر سالم بغصة حتى ليوشك أن يقيء .

كان التحدي عندئذ قد بلغ أقصاه . فقام سالم زكي عبد الرحمن باجازة عارضة وتهيأ له وراح يخطط أفضل طريقة لشلّ الاسد وهو في عرينه . واستقر أخيرا على ان الاقبال خير من الانتظار ريثما تحين الفرصة ، وان الهجوم أحسن وسائل الدفاع . فتربص في مكانه عند السور في اليوم التالي ، بعد أن حيا البواب والجندي . ثم اندفع لما رأى الوزير قادما في موكبه ، فانحنى بالتحية قائلا :

ـ أريد التحدث الى سيادتكم في امر هام .

التفت الوزير اليه متعجبا . واندفع احمد عطا معاتبا :

ـ عيب يا سالم . ليس في الطريق العام .

فتبسم الوزير عندما أدرك من كلامه انه ليس محاطا بأغراب . وقال متبسطا :

ـ في المكتب . تفضل في المكتب ..

ومرق الموكب .. لا بأس . خطوة اخرى نحو الهدف العظيم . فقط ، لو تسنى له أن ينطلق الى هذا الهدف بمثل سرعة السيارة .

ونام في تلك الليلة بلا أرق ، بعد أن كوى بذلته .

وفي الصباح توجه الى مكتب الوزير منتفخا . فوجده غاصا بالزائرين . فلم يعبأ بأحد وتقدم الى سكرتير المكتب بعظمة بادية :

ـ من فضلك يا حضرة . بلّغ سيادة الوزير بحضوري .

وتعجب لان سكرتير المكتب لم ينبهر ولم يتحرك. فأراد أن يختصر الطريق ليبهره كما فعل مع السكرتيرة بعد لأي ، وقال آمرا :

ـ بسرعة من فضلك . قل له ان سالم قد حضر . المسألة شخصية وعاجلة جدا .

ولكن السكرتير لم يتحرك فيه شيء سوى لسانه . وعجبا انه يسأله من يكون .

فصاح في احتدام ، والعظمة تتطاير رذاذا من فمه :

ـ قلت لك سالم .. سالم بك يا أحمق .. جاء حسب الميعاد .

تكهرب الجو . واضطرب الحضور . وتململ السكرتير حرجا وغيظا ، ثم انتفض غاضبا . فخيل اليه انه يهمّ بطرده . فازداد حدة ، وانفلت لسانه بالسخط والوعيد . وتهافت عليه السعاة والموظفون ، وتلقفه احمد عطا فهداه وسحبه الى غرفة مجاورة . يا للنحس الذي ركبه . أجاء لمقابلة الوزير فيقع كالطير الذبيح بين

يدي خصمه ليجهز عليه . ما لبث أن تصنع الهـدوء بجهد مضاعف وهو يغلي اضطرابا وغيظا . واخذ احمد عطا ـ يا للسخف ـ ينبسط معه ويذكره بأيام الدراسة والشقاوة . شقاوة حقا . كل ما حـدث من سرقات وخيانات وهتك أعراض كان شقاوة أطفال لم يبلغـوا الحلم . جعل يتجرع حديثه المر في تصابر موجع آملا أن يفتح له الطريق الى لقاء الوزير ، وهو يغري نفسه بالتماسك والالتصاق في مقعـده حتى لا يهب فجأة فيهوي بنعله على ذلك الراس الـذي دوخه . وما لبث احمد عطا ـ يا لخسته ـ أن يسأله عن مسألته . فاض به الكيل فجأة فصاح بلا تبصر وقلبـه المكلوم يتفجر بانفعال مكتوم :

ـ جئت أشكوك . اشكو الى الوزير ما فعلت بي طوال هذه السنين !

وتهدج صوته تأثرا . وتفجر عـذابه في لحظة ، فكاد ينتحب . فنهض احمد عطا واخـذ يلاطفه بلسانه ويده . وهو يحاذر من تلك الحلاوة والرقة ، ويتلوى بجسمه كالطفل حتى لا ينفذ الى اذنه صوت أو تقع على بدنه لمسة . وما لبث أن نهض متأففا ، واندفع مـن الحجرة مارقا بلا سلام أو كلام .

وفي الطريق تملكه العجب تماما . لم يصـدق ما حدث .. ان يكشف سره لغريمه بهـذه السهولة . وايقن ان المكتب ليس المكـان المناسب على الاطلاق . لا تتحمل اعصابه فترة الانتظـار ، وبرود السكرتير ، وجمود الجالسين المحملقين . ولا يمكـن ان تسوقه قدماه الى شرك احمد عطا مرة أخرى . ليس أفضل من الهجوم على قارعة الطريق .

وتربص في الصباح التالي . وطال انتظاره ولـم يخرج الوزير . وازدحم الطريق بسيارات أخرى تذهب وتجيء والمسكن مع ذلك هاجع . حتى الكلبان لم يظهر لهما ظل أو ذيل . ثم لاح البواب على الباب وهو يتثاءب في دعة وتكاسل . فحياه وتساءل . فنظر اليه بدهشة وارتياب . الا تعلم ان هذا يوم الجمعة . يوم العطـلة ؟ ثم اخذ يرطن بكلام كثير متداخل لم يدرك منـه الا ان الوزير بشر مثل سائر خلق الله ، لا بد أيضا أن يستريح.

وهو ؟ الا يستريح ابدا من همـه ؟ الا تتاح لـه الفرصة لان يتخفف من عبئه ؟ متى يا رب يضع عنه أسره والاغلال ، ويستعيد شبابه ويصير أقدر على الطيران وراء الدرجات والمراكز ؟ الدنيا فرص . وهذه فرصتـه ليصعد بالحلال . فلو تسلق كتف أحمد عطا لكان ذلك عوضا له ، وجزاء لذاك . لكن اليوم جمعة وهذه ساعة النحس قد حلت مبكرة .

تضاعف سخطه وهو يضاعف خطوه معجلا لا يدري الى أين . فقد اراد أن يبتعد عـن الفيللا قدر الامكـان كأنما تلقى عندها صفعة مخزية . ومكث يسير ويسير على غير هدى وهو يصعد في أحلامه الى الذرى ويهبط في واقعه الى ما تحت الثرى . فلما اذنت الصلاة كان قد تحجر حنقا وكبرا . بل وجد لذة خفية في أن يعاند قدرا بداه بالعناد . وماذا تفعل له الصلاة الآن ودعاؤه في الفجر لم يستجب . ثمة هاتف يهيب به ان الغلبـة لا تأتي الا بالشدة والقسوة .

وفي الصباح التالي لم يستطع أن يقف في مكانه كالمعتاد . بل تحدث الى الجندي قليلا وأعطاه سيجـارة كان قد اشتراها فرطا على سبيل المودة ، زاعما له انه كان في خدمة الوزير من قبل . فلما هل الموكب تقدم في مثل انتفاضته بالمكتب . هكذا تعالج الامور . وكثيرا ما يكون التواضع مهلكا . فلو لم يطامن من شأنه وزعم لسكرتير المكتب انه نسيب الوزير وهو يهز اصبعه في وجهه ، لفتح له الباب على مصراعيه .

ـ سيادتك لم تقابلني امس في المكتب يا فندم .

نظر اليه الوزير بعين الاحتقار . وفي وجهه كمد شديد . ثم انصرف الى داخـل السيارة بينما هتف احمد عطا :

ـ ما هذا يا سالم ؟ اتريد ان تحدث ضجة هنـا ايضا ؟ تعال في المكتب أسمع منك كل شيء .

فصاح سالم وهو يشعر كأن احمد عطا لف عنقه بأنشوطة :

ـ سيادتك لم تقابلني .. مع انني اريد حمايتك من الاخطار .

اسرع احمد عطا ـ اللعنة عليه ـ ينذره بالسكوت باشارة من اصبعه على فمه . ثم انصرف عنه بدوره الى داخل السيارة والوزير يخطف اليه نظرات متعجبـة مرتابة ـ لو كان في مثل الذكاء الذي يتشدقون به عنه لادرك من حركة احمد عطا موطن الخطر .

لا بأس . فان نظرة الارتياب بدايـة الاهتمام . وليسقينه هذا الاهتمام جرعات حتى يشرق به .

وكان صباح آخر . لكن الجندي لم يهش له . بل طلب منه الابتعاد . كذلك البواب وقف يرطن بكلام غير مفهوم . ونبح الكلبان . اانتما ايضا مـن زمرة اولاد الكلب ؟ اتريد المقادير طمس الحقيقـة ؟ أيذهب عرض اخته المسلوب سدى ؟

لم يلبث أن اندفع غير عابىء عندما لاح الوزير ، فتصدى له من بعد يسير ، حتى لا يفجاه أحد ويسكته. وزعـق :

ـ ارجوك يا فندم . انتبه الى مـن حولك . انهم من اللصوص والنهابين وخرابي البيوت .

لا فائدة . الموكب ينطلق والوزير متجهـم واحمد عطا اشد تجهما . بل انه ، باشارة ايضا من يـده ، يتوعده . والبواب يرطن والجندي يدفعه بعيدا . بل انه ينذره بالقبض عليه لو أمر الوزير ، وحذار حذار من ان تستغل سماحته اكثر من ذلك . هكـذا ايضا يدعي البواب في سيل رطانته . فالمدعون على الوزير كثيرون

لفرط طيبته . وجد ان الفرصة ربما تكون سانحة ليستميل هذا وذاك . فهو في حاجة اليهما لوقفة الصباح المتكررة . فأخذ يشرح لهما ، برفق في البداية ، ثم بحنق وغلظة في النهاية . فان أصواتهما ترتفع على صوته ، وحلقة من الناس قد ضربت من حوله . ومهما دقّ بظاهر كفه باطن كفه الاخرى ليؤكد وينتبهوا ، ما استطاع تأكيدا ولا تنبيها . فهم في عجلتهم على صرفه لا يسمعون . لا يريدون أن يفقهوا . صم بكم عمي عن الاخطار المحدقة . يا لله . المروءة ذابت وتلاشت . حتى الاعراض المنتهكة ما عاد لها مدافع . سيرة أخته التي اقحمها في انفعاله تبخرت في نفخات أفواههم وانطمست في بلادة مشاعرهم . متى تنزاح الغمة يا رب ؟ أذناه المشرعتان كالرادار تلتقطان وهو يتباعد متثاقلا الفاظا مسمومة : مجنون . موتور . لا تدعوه يقترب بعد الآن . ربما ينذر بشرّ . والجندي يشتعل حماسا وينقل البندقية من كتف الى كتف ، كأن الشرف في الدنيا شرفه وحده .

عاد باصرار . باصرار في كل صباح سيعود . سيظل يقتحم الحصن حتى ينفذ بنظره منه أو يتحطم راسه . الجندي يقف أيضا باصرار . البواب باصرار . الوزير قادم باصرار . الكل يتحدونه باصرار . وهذا احمد عطا ينظر اليه من بعيد باصرار .

صاح من مكانه على سور النيل ، باصرار :

ـ يا سيادة الوزير . احذر من حولك . انتبه الى احمد عطا بالذات . انه لص ونصاب .

ضاعت صيحته سدى . ربما لم تبلغهم . النظرات مركزة عليه بتوعد قبل الانطلاق . وعنق الوزير قد التوى نحوه قليلا . وأحمد عطا قد انعطف في كرسيه وأخذ يحملق فيه باستغراب وجهامة من الزجاج الخلفي .

زعق فيه الجندي من مكانه فانصرف معجلا قبل أن يعبر اليه الطريق . أتضيقون على رحاب الله يا قوادين ؟ لا بأس . دعاة الحقيقة كلهم يذوقون مرارة الاضطهاد . حتى الانبياء .

وفي الصباح جاء . اعتاد المكان واعتاده المكان . وثمة شجرة عجوز تحنو عليه ، والجندي قد صار جنديين وقد وقفا بالباب الكبير منتفشين . عار على زيكما الرسمي ما تفعلان . ولن يوقف زحفه على أوكار الفساد الوية أو طوابير . سيمضي كسيف ماض . يقتلع جذور الفتنة ويعصف بالشرور عصفا . وانفجر في صدره بركان غليظ عندما شاهد الوزير قادما ، قد علق ذراعه بعصا ، وعلق الاخرى بذراع أحمد عطا . ما شاء الله . « متأنجحان هذه المرة بعد أن كان السافل لا يجرؤ الا على السير في مواطىء قدميه . ولعله أوهمه ان هذا أفضل لحمايته . غدا اذن يتسلق كتفيه ويدلي رجليه .

ومن مكانه صاح بأعلى صوته :

ـ يا سيادة الوزير . أحمد عطا . احذره . لا تدعه يقترب منك . انه خطر عليك . منافق . محتال . داعر . قاتل .

وتدافعت الكلمات من فمه كالسيل . حقائق مره وسباب لعين . ونكاكأوا حول الوزير كأنما ليحموه من الاعصار . وتراجع بعضهم وتقدم آخرون تحت ضغط حركاته واستفزاز لسانه . واسرع اليه الجنديان يناوشانه لكنه لم يجر . واشار اليهما محذرا من الاقتراب . فأطبقا عليه من الجانبين يلويان ذراعيه . وكأنما كانت تلك هي الاشارة . فقد تدفق من ابواب الفيللا خدم وحاشيه . واجتمعت في الطريق سيارات وسابله . وتناولته الايدي في حراره بالغة تسكته وتشكمه . وهو في حرب الفساد فارس مغوار . لا يني يطلق صيحات الاتهام والانتصار . يتحمل الضربات . يتخطى العقبات . يفكر ويفكر . ينهض ويتعثر . ولا يرى في اندفاعه الا مواطن الخطر . فيجالد ويقتحم .

وصرخ والمعركة تقترب من مواطىء اقدام العدو :

ـ أحمد عطا . دعوني أشرح لكم . انكم لا تعرفونه . الوزير لا يعرفه . أنا أعرفه . احذروه . احذره يا فندم . انه أفاق . مجرم . قد يقتلك يوما من غير أن تشعر .

الصياح واللطم والسباب لسيرة القتل . والصوت المتحشرج يكاد يختنق . لا بد أن يعلو هدير المعركة .

ـ أحمد عطا . احذره . احذروه . دعوني . امسكوه . هو السبب . افهموا . دعوه لي . أنا كفيل به . انا أصفي حسابه !

الامواج تكاد تغرقه . لا بد أن يبقى الشراع عاليا . أشرع يده وهم يتشبثون بها لانزالها :

ـ أنا أعرفه تماما . دعوه لي . عندي المستندات . كل شيء عندي . عندي الشهود .

الملحمة ماضية . لا بد أن تبقى على اشدها حتى لا ينصرف الوزير ويسدل الستار على البداية ناقصة كل مرة . ولتعو الكلاب ، فلن يرهب حتى الذئاب .

ـ يا أحمد يا عطا . يا كلب . يا سافل . لا بد من ردعك يا مجرم . انه سارق . لئيم . قذر . أعرف ماضيه كله . أعرف مستقبله . عندي شهود . يا سيادة الوزير . لا تدخله بيتك . لا تدعه بين أهلك وبناتك . انه هاتك أعراض . سفاح . عندي شهود . أختي . سأحضرها غدا . ستعترف عليه . لا تدعوه يفلت . لا تهرب يا نذل يا منحط يا جبان .

وتمزقت ملابسه وهو يندفع من بين عشرات الايدي ليسدّ على أحمد عطا طريق الفرار . لكنه كان أسرع منه ، فأهوى بعصا الوزير على رأسه ، فسقط متهافتا بين الاذرع . وتهافت معه صوت المعركة .

وعندما خرجت الصحف في اليوم التالي تحمل

سيناريو للتلفزيون

الحرون

ترجمة أحمد جاسم العلي

بقلم الكاتبين البولنديين زانوسي وزابروفسكي

جرى شاب بسرعة وتصميم وسط شارع حال في حي يقع ضمن ضاحية تتميز بمفان رافية تحتضنهـــا حدائق كبيرة وتحرسها أسيجة حديدية . كـان الشاب في أوائل العشرين يلبس على الطريقة الحديثة بنطلونـا خيّط من قطع قماش قطني متين وسترة زرقاء مـن نفس النوعية ، ومن كتفه تتدلى مضطربة حقيبة كبيرة . لاح انه يهرب من احد ما . كان وجهه ملوثا ومن أنفـه يجري ما يشبه الدم ، وقد ربط يـــده اليمنى بمنديل ملطخ بالدم ايضا . وتقدم شيئا فشيئا مـــن بيت يشبه قلعة سكوتلندية صغيرة ــ من الممكن متابعة كل ذلك من خلال نباتات مورقة حيث توجد بريجات (١) ونوافـــذ باطارات حجرية ــ . كبح جماح سرعته وهو يتوجه الـى البوابة التي تحمل لافتة : ممنوع دخول الباعة المتجولين ! وقرع الجرس .

من انبوب للتخاطب سأل صوت : « ماذا هناك ؟ » .

« حادث . أريد أن أتلفن » .

« لا افهم . من هناك ؟ » . كان صوت امراة .

« لقد ضربت . أريد أن أتلفن » .

« يوجد مقهى عـــلى بعد ٥٠٠ متر من هنا فيـه تلفون . سر بخط مستقيم ثم اعطف يسارا » .

« اسمعي . القضية مستعجلة . أريد أن أبلغ عن اعتداء » .

لم يأت جواب من أنبوب التخاطب .

« لخاطر الله . أي نوع من الاحياء هذا ؟! انه البيت الثالث الذي أصرف منه ! أيها المسيح ! ربما تكونون أنتم بحاجة الى مساعدة يوما ما ! » .

مرت لحظة صمت قبل أن يتكلم الصوت :

« السيدة خارج البيت » .

قبض الشاب على رأسه علامة اليأس . وجفل فجأة متألما :

« لخاطر الله ، أريد التلفون ، لا سيدتك . لقـد هوجمت » .

من احدى النوافذ ظهر لثانية فقط شكـــل امراة خلف ستارة مسحوبة . ونطق الصوت :

« أدخل » .

صدر صوت أزيز وفتح باب يدور على محـور . تحرك الشاب بسرعة ، واندفع بقوة خلال الباب الامامي. فوجد نفسه في ردهة كبيرة وفارغة . خلف زجاج باب

نبأ محاولة الاعتداء الاثيم على الوزير ، كانت صحيفـة كل الناس أغزرها مادة في تغطية الحادث . فقد كلف رئيس التحرير ثلاثة من نوابـــغ محرريه بالتحري عن المدعو سالم زكي عبد الرحمن ، والتنقيب في حياته . كل شيء عن ماضيه . حاضره . صلاته . أصدقائه . نقائصه . رذائله . جيرانه . أقاربه . غزواته . نزواته. مغامراته . آرائه . صفحة كاملة أرادها منهم عن الاسرار المحيطة بالموضوع . خفايا دوره . هل ثمـة قوة وراءه تحركه ؟ هل هناك الاعيب ودسائس ومؤامرات خفية ؟ لاي حساب يعمل ؟ وكم قبض ؟ واين وضعت الخطة ؟ ومن هم الشركاء ؟

وكانت هناك صورة للمشهد الفريد على خمسـة أعمدة . دفع فيهـــا رئيس التحرير عشرين جنيهـــا لمصورها ، وكتب تحتها بنفسه : ساعة الحادث الاليم . الحارس الشخصي للوزيـر يدفع عنـه اعتداء المجرم الاثيـم .

وكان الخبر موضوع اليوم ، على السنة الناس في كل مكان . أما سالم زكي عبد الرحمن فلم يقرأ عنـــه شيئا . فقد كان هذا آخر عهده بالصحف ، والوزراء ، والدواوين ، ونهاية سجله الطويل في دنيا العاملين ، وبداية عهده بعالم الهذيان والمجانين .

القاهرة